



أ / صبرى محمد

الأصل الذي لأجله فرض الله العبادات هو تحقيق التقوى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اغْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة : 21].

وقال في شأن الصلاة: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت : 45].

وقال في شأن الزكاة: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التوبة : 103].

وقال في شأن الحج: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتَ وَلَا مَسْجُوقٌ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلَفْهُ اللَّهُ وَتَزِدُوا بِإِذْنِ خَيْرِ الرَّادِّ التَّقْوَى وَالتَّقْوَى يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة : 197].

وقال في شأن الصيام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة : 183].

فكل عبادات الإسلام تهدي إلى البر وإلى مكارم الأخلاق وإلى التقوى؛ ولذا لما حمل اليهود حملتهم النكراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين عقب تحويل القبلة نزل القرآن يبين أن المهم هو بر العقيدة وبر السلوك وبر الأخلاق قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة : 177].

فما هي التقوى وما صفات المتقين وما ثمرات التقوى؟

معنى التقوى: يقول اليرافعي: التقوى هي الأصل الأول لأخلاق الإسلام الفردية والاجتماعية[] وقيل معناها: جعل النفس في وقاية مما تخاف، وقيل معناها حفظ النفس عما يشينها ويعرضها للامم أو العذاب بفعل ما أمر وترك ما نهى، وعرفها سيدنا علي بن أبي طالب بأنها: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل[]

صفات المتقين:

اشتمل القرآن من أوله إلى آخره على جملة من صفات المتقين لكنها تشير إشارات سريعة إلى بعضها:

1- التذكر الذي تعقبه التوبة والعودة إلى الصراط المستقيم وإلى الحق كما قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ) [الأعراف : 201].

2- الإحسان في الطاعة والعبادة والإتيان في العمل قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) [النحل : 128].

3- بيطرة القلب وطمنة العقل وعدم الغفلة قال تعالى مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [الأحزاب : 32].

4- الإنفاق في الغنى والفقر واليسر والعسر قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) [آل عمران : 133,134].

5- كظم الغيظ قال تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) [آل عمران : 134] ، وحول هذا المعنى يدور الصيام ولذا أكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: « قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِفُّهُ وَلَا يَضْحَبُ، فَإِنْ سَأَبَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ » أخرجه البخاري ، وأخرج البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ» فَالْأَمْرُ إِذَا احتاج إلى صبر ومجاهدة للنفس[]

6- العفو عن المسيئين والإحسان إليهم قال تعالى: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران : 134]، وليس هناك أحد أسيء إليه مثلما أسئى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي اتهم في عرض ابنته الصديقة المبرأة من فوق سبع سموات وزوجة النبي وأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها وعن أبيها- ومع هذا حينما حثه القرآن على العفو عن خادمه مسطح الذي كان من الخائضين في حديث الإفك لم يتردد وعفا عنه قال تعالى: (وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفُضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النور : 22]

7- المسارعة بالتوبة وعدم الإصرار على الذنب قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ دَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ فَاشْتَعَرُوا لِيُذْنِبَهُمْ وَمَنْ يَعْزِرِ الذَّنْبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران : 135].

ثمرات التقوى:

إذا تحققت التقوى تحققت ثمراتها في الدنيا والآخرة وأولها في الدنيا صلاح النفس وطهارة القلب والفوز بالجنة والنجاة من النار والفرج عند الشدة والبركة والسعة في الرزق قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [الطلاق : 2 ، 3].

ومن ثمرات التقوى صلاح البال قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) [محمد : 2].

ومن ثمراتها كذلك البصيرة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الأنفال : 29]. ثمرات التقوى كثيرة ويمكن إضافة المزيد

آفة الانقسام بين العبادات وبين الأخلاق :

فتجد من المسلمين من يصلي ويصوم ويحج وربما يتصدق ومع هذا يكذب ويخون الأمانة ويغدر ويسيء الظن بالمسلمين ويشهد الزور

ويسفك الدم المعصوم وينتهك الأعراض ويستهزئ بالمؤمنين وبآداب الإسلام وغير ذلك مما يتنافى مع عبادات الإسلام وقيمه التي تهذب السلوك وتصلح النفوس فمن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور ولا يتعرضون للغو قال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) [الفرقان : 72]، فالصيام الحقيقي هو الذي يمنع المسلم من كل ما حرم الله وليس من الطعام والشراب والجماع وحسب كما يظن كثير من الناس فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » البخاري

قول الزور هو الكذب، وهو محرم على المؤمنين، وهذا الحديث في شاهد الزور تغليظ شديد ووعيد كبير، ودل قوله صلى الله عليه وسلم: «فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» على أن الزور يحبط أجر الصائم، وأن من نطق به في صيامه كالآكل الشارب عند الله تعالى في الإثم، فينبغي تركه والحذر منه لإحباطه للصيام

الزور معناه: الكذب والميل عن الحق والعمل بالباطل والتهمة فليس لله حاجة: أي إن الله تعالى لا يلتفت إلى صيامه ولا يقبله ويقاس على قول الزور والعمل به كل ما حرم الله من الظلم والعدوان على الأبرياء واستباحة الأعراض والدماء والحرمات والتسبب في ذلك قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) [الحج : 30] .

العبادة بلا أخلاق إفلاس:

*عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أَقْبَى مَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَصَلَةٌ، وَصِيَامٌ، وَرِكَاعَةٌ، وَبِئَاتِي قَدْ سَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَصَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُيِّنَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم

*عن أبي هريرة، قال: قال رجل: يا رسول الله، إن مِلانَةَ يُدَكَّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَاتِهَا، عَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ» ، قال: يا رسول الله، فَإِنَّ مِلانَةَ يُدَكَّرُ مِنْ قَلْوَةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَاتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ» .

فالعبادات بلا أخلاق لا تنفع وأخلاق بلا عبادات لا تنفع كذلك فلا بد من الاثنين معا والعبادات والأخلاق

لماذا ضعفت الأخلاق؟

من أسباب ضعف الأخلاق ضعف الإيمان قال تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [النحل : 105]

قال عمر بن الخطاب: « لَا تَحِدُ الْمُؤْمِنَ كَذَابًا » أخرجه البيهقي

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يُرْنِي الرَّانِي جِئِنَ يُرْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ جِئِنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِبُ الْخَمْرَ جِئِنَ يَسْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ » أخرجه مسلم

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون: 51] وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ » أخرجه مسلم

عباد الله : نتواصى بالبعد عن قول الزور والعمل به ، وعدم مصاحبة أهل سوء ، كما نتواصى بتعظيم الحرمات ، وتعظيم شعائر الله فإن في ذلك الخير للفرد والأمة

أكمل الحديث : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ.....» الأدب المفرد .

توصية عملية : عش في كنف الصالحين .